

## تحولات الصورة في عوالم السينما من الاختراع التكنولوجي إلى وسيط فني متميز

## Transformations of the image in the world of cinema: from technological invention to a distinct artistic medium

بن عزوزي عبد الله \*

<sup>1</sup> جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم [abdellah.benazouzi@univ-mosta.dz](mailto:abdellah.benazouzi@univ-mosta.dz)

تاريخ النشر: 2025/12/15

تاريخ القبول: 2025/11/28

تاريخ الاستلام: 2025/10/13

**ملخص: (يجب أن يتراوح بين 100 و250 كلمة)**

تعد السينما فنا شاملا يجمع في ميكانيزمات خطابه العديد من العناصر التقنية والجمالية التي كانت نتاجا لجهود العديد من المبتكرين الذين اخترعوا هذا الفن وساهموا في تطويره ولعل المتتبع لمراحل نشأة وتطور السينما يدرك تلك التحولات التي كانت نتاجا لبحث وتجريب مستمر مع الزمن بغية تطوير آلية عمل الصورة من الثابتة إلى المتحركة التي ظهرت من خلال العديد من الاختراعات لعلماء ومفكرين من أمثال توماس اديسون ولومير وغيرهم ؛ لذلك نسعى من خلال هذه الدراسة إلى البحث عن تطورات الصورة في عوالم السينما منذ ميلادها مع الابتكار التكنولوجي للسينماتوغراف عند لومير مروراً بالعديد من المحطات الهامة التي جعلت هذا الابتكار يأخذ خاصية الفن في التعبير والمحاكاة والخصائص الفنية والجمالية في الخطاب البصري المصور كما هو الحال عند جور مليس وآخرون.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم إسهامات رواد السينما الأوائل من أمثال لومير ومليس وجريفيث .. وغيرهم في تطوير الخطاب السينمائي وتحويله من مجرد نجاح تجربة تكنولوجية إلى وسيط فني متميز .

**كلمات مفتاحية:** السينما، السينماتوغراف، لومير ، مليس ، الخيال ، التصوير ، الخطاب

**Abstract: (between 100-250 words)**

Cinema is a comprehensive art form that combines numerous technical and aesthetic elements in its discourse mechanisms, resulting from the efforts of numerous innovators who invented and contributed to its development. Anyone who follows the stages of cinema's emergence and development will recognize these transformations, which were the result of continuous research and experimentation over time to develop the mechanism of the image, from still to moving. This process emerged through the numerous inventions of scientists and thinkers such as Thomas Edison, Lumière, and others. Therefore, through this study, we seek to explore the developments of the image in the world of cinema, from its birth with the technological innovation of the cinematograph by Lumière, through the many important milestones that enabled this innovation to take on the characteristic of art in expression, simulation, and the artistic and aesthetic

characteristics of pictorial visual discourse. Through this study, we aim to shed light on the most important contributions of early cinema pioneers such as Lumière, Méliès, Griffith, and others, in developing cinematic discourse and transforming it from a mere technological success into a distinct artistic medium.

**Keywords:** Cinema, cinematograph, Lumière, Melisse, imagination, photography, discourse

abdellah.benazouzi@univ-mosta.dz

✱ بن عزوزي عبد الله :

## مقدمة:

لم يكن للسينما أن تعرف النور لولا التطور التكنولوجي، الذي شهده العالم الغربي، خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر حيث ساهم في ميلاد فن سحري يمكنه معالجة الواقع عن طريق أيقون الصورة المتحركة لذلك كان ميلاد السينما تحولاً كبيراً في مجال الفنون التي تعتمد الصورة كوحدة أولية في خطابها حيث يمكنها معالجة الأحداث والوقائع وتوثيقها بشكل يسمح لها بالتواصل مع مختلف الجماهير على اختلاف الثقافات والانتماءات العرقية وعليه يعد اختراع آلة التصوير والعرض السينمائي طفرة فكرية بامتياز جعلت من هذا الفن أكبر وسائل التواصل الجماهيري.

قد يتساءل الكثير عن تحولات السينما عبر الابتكارات المتتالية إذ يجد إنها نمت وتطورت مع كل رائد من روادها ومبتكر من المبتكرين الذين ساهموا في تطوير تقنياتها ولذلك تحولت السينما عبر مراحلها التاريخية من مجرد مقاطع مصورة إلى عمل فني يحاكي الحياة والواقع عبر أيقون السينما وهو ما يفتح باب إشكالية مهمة في محتوى هذه الدراسة .

**كيف استطاع رواد السينما تطوير هذا الاختراع إلى مجال للمحاكاة والخطاب المصور؟ وكيف استطاعت السينما أن تتحول من مجرد اختراع تكنولوجي إلى وسيط فني متميز؟.**

طبعاً إن علاقة الصورة عموماً باتت علاقة غائبة ومستقبلية مع التكنولوجيا حيث تطورت بتطورها عبر مختلف المراحل الزمنية ولأن السينما بشكل خاص نتاج لتطور فن التصوير وتطوير آلة الكاميرا التي أسفرت عن ظهور الصورة المتحركة فكان لا مناص من تأثرها بأفكار العديد من المفكرين والفنانين والمخترعين عبر مراحل تطورها .

إن الحديث عن رحلة السينما وتحولها إلى عمل فني متميز يدفعنا إلى الوقوف عند العديد من المحطات الهامة منذ ميلاد السينما عام 1895 مروراً بإسهامات روادها الذين نكتشف من خلال تجاربهم العديد من الإسهامات والإضافات التي تميزت بها أفلامهم منذ مرحلة السينما الصامتة إلى السينما الناطقة عام 1927.

## 1. آلة السينما توغراف للإخوة لوميير تحول في عوالم الصورة من الثابتة إلى المتحركة

### 1.1 بدايات السينما من إيديسون إلى الإخوة لوميير :

يعترف معظم الدارسين في حقل السينما بفضل التكنولوجيا في ميلاد هذا الفن السحري الذي شكل طفرة فنية وتحولاً كبيراً في مجال الإبداع والخطاب السمعي البصري ولا يخفى علينا أن مجال الصورة كان محل اهتمام المبدعين والمفكرين منذ إبداعات دافينتشى مروراً بتوماس إيديسون . الخ حيث سعوا باختراعاتهم وأفكارهم إلى تطور عوالم الصورة بشكل عام مروراً بالحجرة المظلمة إلى الفانوس السحري وآلة التصوير الفوتوغرافية ثم

الصورة المتحركة عن طريق تحويل الثنائية الثابتة من الصور إلى متحركة من خلال اختراعات متتالية ساهمت في ذلك .

لم يبدأ تاريخ السينما بانفجار كبير سواء باختراع اديسوس للمسجل للكينيتسكوب عام 1891 أو العرض الأول للأخوين لوميير للأفلام لجمهور يدفع مقابل العرض في عام 1895 ولذلك فانه ما من حادثة مفردة يمكن أن تعد مما يفصل ما قبل السينما الجينية الوليدة عن السينما بمعناها الحق وبالأحرى يوجد استمرار بدأ بالتجارب والخدع الأولى التي كانت تهدف إلى صور متتالية "(سميث، 2010)

إن المتتبع لتطور الصناعة السينمائية منذ بواكيرها الأولى يدرك تلك العلاقة بين التكنولوجيا والفن وبين عام الصورة والابتكار الذي مر بالعديد من الخدع والتجارب التي نمت وتطورت بالتطور العلمي ليصل بعد الخدع والتجارب السابقة من الحجرة المظلمة والفانوس السحري... وغيرها إلى أجهزة شكلت بدايته تسجيل المتتالية من الصور الثابتة مثل اختراع توماس إديسون أو جهاز التصوير والعرض السينمائي مثلما هو الحال للأخوة لوميير .

اخترع توماس إديسون "آلة الكاينيتوسكوب kinétoscopes وهي آلة في شكل صندوق بمنظار متحرك تحتوي على شريط مثقب يحتوي صوراً ثابتة بوضعية متتالية تعالج فكرة ما وبهذا الاختراع يعد إديسون من الأوائل الذين دفعوا بالسينما نحو مرحلتها الحاسمة في اكتمال تقنياتها التي ستأتي مع تجارب لاحقة خاصة مع اختراعه للفيلم (الشريط) الجديد بقياس 35 ملم ذو الأزواج الثقوبية الأربعة في الصورة "(سادول، 1968).

لقد كان أديسون واحداً من رواد الاختراع في مجال الصورة حيث مهد باختراعه للكاينيتوسكوب والشريط الفيلمي بقياس 35 ملم الطريق نحو تطوير آليات عمل التصوير وبالرغم من عدم الوصول إلى معنى الصورة المتحركة والعرض على الشاشة إلا أن الملاحظ لمثل هذه التجارب يكتشف تكاملها الذي أوصل هذا الفن إلى المستوى العالي الذي يشهده اليوم .

ولأن مثل تجارب إديسون وأخرى كانت متعددة فإن اختراع هذا الفن قد خلق جدلاً بين الدارسين إذ نجد أن إرجاع ميلاد السينما لا يتوقف عند تجربة معينة بل هناك العديد من التجارب التي توالىت وكملت بعضها لنصل إلى تجربة الإخوة لوميير التي كانت أول تجربة متكاملة في تصوير الأفلام وعرضها من خلال آلة السينماتوغراف التي شكلت شيئاً سحرياً للمشاهدين آنذاك بأفلامها .

إن قضية اختراع السينما لا ترجع إلى اختراع معين أو تاريخ معين ذلك نظراً لتعدد التجارب التي سعت للوصول إلى الصورة المتحركة مع مرور الزمن؛ "فالسينما مثل العديد من المبتكرات التكنولوجية التي ليس لها

لحظة صدور معينة ولكن تتبع بواكيرها الأولى والابتكارات المتتالية التي نمت وتطورت مع الزمن منحت الإخوة لوميير شرف اختراع آلة السينماتوغراف كأول آلة عرض وتصوير سينمائي " (سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم / السينما الصامتة ، 2010)

تعود بداية السينما في العالم إلى تاريخ 28 ديسمبر 1895 مع اختراع الإخوة لوميير لآلة تصوير وعرض سينمائي حيث تمكن المخترعان من الوصول إلى معنى الصورة المتحركة بمعناه الصحيح حيث استطاعا تحويل الثنائية الثابتة إلى متحركة من خلال اختراعهما لأول آلة عرض وتصوير سينمائي هي آلة السينماتوغراف .

يرى المؤرخ السينمائي ديفيد روبنسون أن "السينماتوغراف كان شيئاً بعيداً عن السينما فما قدمه مخترعو 1896/1895 - الأخوين لويس و أوغست لوميير - لم يكن سوى آلة فحسب، لا وسيطاً فنياً متكاملًا حيث تمثل في مجرد تصوير صورة متحركة و ثم عرضها على الشاشة، لقد كان انجازاً تقنياً لم يكن لاستخدامه آنذاك آفاق واضحة" (روبنسون، 1999).

ولذلك تعتبر البداية الأولى مع السينماتوغراف مجرد نجاح تجربة تكنولوجية للأخوين لوميير مكنت من تصوير الصور المتحركة وعرضها على الشاشة وهي في الأصل آليه عمل جهاز السينماتوغراف . من هنا بدأت السينما في رحلة البحث عن وجودها الفني الذي سيحولها من مجرد ابتكار تكنولوجي إلى خطاب فني متميز بالصور المتحركة المعبرة التي تحاكي الواقع وتعالجه عبر أيقون الصورة كوحدة لغوية أساسية في تركيبة الصناعة السينمائية.

في عام 1895 اخترع الأخوين لوميير أول آلة متكاملة لتصوير وعرض الأفلام السينمائية حيث سميت بالآلة السينماتوغراف والتي أعتبرت حسب المؤرخين الابتكار الناجح الذي مكن من التقاط الصور وعرضها على الشاشة من خلال هذا الجهاز المركب لذلك كانت الانطلاقة الصريحة التي يعتمد عليها المؤرخون في ميلاد السينما على تاريخ 28 ديسمبر عام 1895 والذي شهد تسجيل أول الأفلام السينمائية القصيرة جداً والتي لم تكن في بداياتها مجرد نجاح تجربة تكنولوجية مكنت من تحقيق المتتالية المتحركة على الشاشة إلى أنها شكلت شيئاً سحرياً للمشاهدين أثناء عرضها للأفلام الأولى مقارنة بباقي الفنون التي كانت متواجدة آنذاك؛ لقد تميزت تجربة لوميير من خلال السينماتوغراف بخصائصها التقنية التي اكتملت فيها عملية تصوير فيلم قصير كانت كفيلاً بأن تجعل النقاد والمؤرخين يعتمدونها كبداية حقيقية لميلاد السينما وذلك لأن " الأخوين لوميير هما من فازا في السباق في الوصول إلى طريقة لدمج مبدأ عمل الكاينيتوسكوب مع الفانوس السحري القديم ولعلها مسألة حظ ربما لأنهما كانا يتمتعان ببعض المزايا مقارنة بالكثير من

منافسيهما، نظرا لكونهما رجال صناعة أثرياء ولديهما المصادر الاقتصادية اللازمة لتطوير وحماية واستثمار اكتشافاتهما وكان لويس و أوغست لوميير قد انخرطا في العمل بمصنع أبيهما الفوتوغرافي في ليون عام 1884 حيث كان الأول في الثامنة عشرة والثاني في العشرين واستطاعا تعديل الموقف المالي المتداعي لشركتهما من خلال نجاحهما في تصنيع ألواح العلامة الزرقاء الفوتوغرافية "(روبسون، تاريخ السينما العالمية 1895/1980، 1999).

كان من الطبيعي أن تثير هذه الطفرة نوعا من الدهشة والذهول في الأوساط الفنية في أوروبا نظرا لأن الأفلام المصورة والمعروضة على الشاشة شكلت شيئا خارقا للعادة وظهر فن آخر وليد الثورة التكنولوجية والصناعية إلا أن الخاصية الفنية، لم تكن حاضرة نظرا لكون التجربة لم تكن ترقى إلى مستوى الفن آنذاك بل كانت مجرد نجاح تجربة تكنولوجية مكنت العالم من اكتشاف تصوير وعرض الحقائق بجهاز يصور على الشريط الفيلمي متتاليات ثابتة لتعرض بصورة متحركة .

من هنا باشر الاخوة لوميير في البحث عن سبل اصباغ هذه الصنعة بصبغة فنية تمنحها طابع المحاكاة والتجسيد والمتعة والابداع لذلك ظهرت العديد من الأفلام التي كانت نتاجا لنجاح السينماتوغراف ومنها ما لمسنا فيها نوعا من الميول إلى المتعة والتشويق ولكنها لم تكن بالمستوى الذي يمنح السينما خاصيتها الفنية المعروفة وهكذا بدأت مغامرات لوميير في انتاج الأفلام القصيرة وعرضها وبدأت السينما تدخل في مضمار البحث عن وجودها الفني .

## 1.2 أفلام الإخوة لوميير ونجاح الابتكار التكنولوجي :

بعد نجاح آلة السينماتوغراف في مقهى الصالون الهندي بباريس عام 1895 بدأ الأخوين لوميير في تجريب هذا الاختراع بصناعة مجموعة من الأفلام طبقت من خلالها هذه التجربة و أثبتت نجاحا منقطع النظير .

كانت من بين أبر الأفلام الأولى التي بدأ بها الأخوين لوميير مشوارهما في رحلة السينما في البحث عن وجودها هي فيلم لحظة وصول القطار وفيلم خروج العمال من المصنع والفيلم الذي بدأت فيه بوارد الحس الفني و لو لم تكن بالمستوى المطلوب هو.فيلم البستاني .

لقد كانت هذه الأفلام ثمار نجاح تجربة السينماتوغراف فعندما تم عرض لحظة وصول القطار إلى المحطة في معرض الصالون الهندي بباريس كانت ملامح الدهشة والذهول واضحة على محيا الجمهور الذي شاهد لأول مرة قطارا مصورا يقترب داخل الشاشة .

### فيلم لحظة وصول القطار إلى محطة لاسيوتا :

يعد هذا الفيلم نتاجاً لنجاح التجربة التكنولوجية للأخوين لوميير لقد طبقا فيه حيثيات تجربتهما في العمل على تحقيق المتتالية الثابتة في الشريط الفيلم وعرضها بصورة متحركة عن طريق السينماتوغراف؛ لقد تحقق في هذا الفيلم ما كان يصبو إليه هذان المخترعان .

يعرض فيلم لحظة وصول القطار إلى محطة لاسيوتا مشهداً صامتاً يصور وصول القطار إلى محطة لاسيوتا بمرسلياً من الأفق البعيد وهو يقترب إلى أن تملأ صورة مقدمة رأس القطار الشاشة حيث يستغرق هذا المشهد حوالي ثلاث دقائق إلى نزول الركاب كما يتميز هذا الفيلم عند مشاهدته بأحادية المكان والزمان في مشهد تم تصويره من زاوية واحدة بكاميرا السينماتوغراف المثبتة في زاوية مقابلة لوصول القطار بينما الحركة الداخلية في المشهد تعود إلى القطار نفسه وحركة الركاب . " (لوميير، 1895).

انه وبالعودة الى مبدأ عمل السينماتوغراف الذي يعتمد على تصوير المتتالية من الصور على الشريط الفيلمي وعرضها على الشاشة فان اختيار لحظة وصول القطار عند لوميير لم تكن عبثاً بل كانت مقصودة وفق ما يناسب مبدأ عمل هذا الجهاز للأخوين لوميير اذ نلاحظ من خلال مشاهدة الفيلم تثبيت الكاميرا في زاوية مقابلة لوصول القطار ومنه فان الشروع في عملية التصوير تسمح بالتقاط عدد كبير من الصور المتتالية التي سيتم عرضها عن طريق السينماتوغراف بصورة متحركة وهنا تمكن الأخوين لوميير من تحقيق ما أسميناه سابقاً بتحويل الثنائية الثابتة إلى متحركة أو ربما بالمتتالية الثابتة إلى مشهد سينمائي .

إن المتمعن في طبيعة المشهد المصور يدرك يقيناً أن الأخوين لوميير تمكنوا من خلال هذا الفيلم في كسر عقدة الصورة المتحركة مقارنة بالتجارب الأولى التي سبقتها غير أن طبيعة المشهد لا توحى بوجود مبادرة فنية كون أن التجربة لا تزال جنينية في مستهلها لذلك فان لحظة وصول القطار لا تعدو سوى فيلماً قصيراً قد ينتسب للطابع الوثائقي الذي يفتقر إلى الموضوع أو الخيال أو جانب من الإبداع الفني ومن الطبيعي أن يتسم هذا الفيلم وبقيّة الأفلام الأولى للإخوة لوميير بهذا الشكل ذلك لأنها لا تزال آنذاك تبحث عن وجودها الفني وخروجها من قوقعة الاختراع التكنولوجي إلى شكل فني حديث متميز .

لقد شكل هذا النجاح شيئاً سحرياً للغاية عندما عرض لأول مرة أمام الجمهور بباريس في "28 ديسمبر عام 1895 في مقهى الغراند كافيه /الصالون الهندي بباريس وقد أصيب حينها الجمهور بالذهول وهو يشاهد " وصول القطار من أعماق الشاشة مندفعاً نحو النظارة حتى أثار ذعرهم خشية الدعس تحت عجلاته وهكذا اتحدت رؤية الإنسان ورؤية الآلة وأصبحت الكاميرا caméra للمرة الأولى عنصر يعطي صورة واقعية عن

الحياة لقد استعمل لويس لوميير في هذا الفيلم جميع إمكانات عدسة ذات سطح عميق جدا فقد شاهد الناس في البداية الأمر محطة غير مأهولة مما شكل سطحا عاما يتجول فيها عامل على الرصيف يجر عربة ثم تظهر في الأفق نقطة سوداء تكبر سريعا ولا يلبث القطار أن يحتل الشاشة تقريبا "(سادول، تاريخ السينما في العالم، 1967) ليتوهم الجمهور أن القطار قد يصدمه .

إن سبب التعبير عن طبيعة المشهد بهذه الطريقة هو حجم التجربة وأهميتها وقيمتها وسحرها في تلك الفترة الزمنية انمثل هذا النجاح التكنولوجي يجعل المشاهد آنذاك يدخل عالما أكثر سحرا وجاذبية و إثارة انه يرى حياة أخرى مماثلة لواقعه على شاشة الجدار المقابل .

لم تتوقف أفلام لوميير عند لحظة وصول القطار بل تعدد انجازاتهم خلا فترة ما بين 1895 وما بعدها خاصة مع اندفاع الجماهير إلى الاهتمام بهذا الفن فكان لويس لوميير يختار أفكار ومشاهد واقعية لتوثيقها في أفلامه القصيرة مع ضرورة مراعاة طبيعة هذه المشاهد التي تتناسب طريقة عمل السينماتوغراف لذلك نجده يختار في فيلم آخر مشهد خروج العمال من المصنع وهو أيضا واحد من أهم أفلام لوميير القصيرة التي طبق فيها تجربته وكانت نتاجا لعبقريتهما في صناعة هذا الفن ..

#### - فيلم خروج العمال من المصنع :

تم انجاز هذا الفيلم في السنة ذاتها مع لحظة وصول القطار عام 1895 ويتمثل هذا الفيلم في تصوير مشهد قصير يجسد خروج عاملات من المصنع في نهاية العمل وكان الفيلم أيضا يتضمن لقطة واحدا وحركة داخلية تتمثل في حركة خروج العمال أمام الكاميرا التي بقيت مثبتة في الزاوية الجانبية المقابلة لمخرج المصنع وهي تسجل خروج العاملات واحدة تلو الأخرى إلى نهاية المشهد دون تحريك الكاميرا وتم عرضه في باريس في شكل 18 صورة في الثانية "(الإدريسي، 2023).

ربما يختلف خروج العمال من المصنع عن لحظة وصول القطار الى المحطة في طبيعة المشهد والمكان لكن الملاحظ لخصائص الفيلمين يدرك بحث لوميير عن المنظر والموضوع الملائم للتصوير مما يجعلنا نستنتج بأن هذا الفن كان يسعى الى وجوده منذ البداية اذ نجد أن مادة التصوير وآلة التصوير والعرض كلها موجودة الا أن الصبغة الفنية تحتاج نوعا من المرونة واستثمار التجارب الفنية داخل التيمة المصورة لذلك يمكن ادراج كل من فيلم خروج العمال من المصنع أو لحظة وصول القطار الى محطة لاسيوتا ضمن الأفلام ذات الطابع الوثائقي كونها لا تقبل الخيار ولا الفكاهة بل تعلي عليها معالجة الحقيقة والواقع كما هو والتصوير في عين المكان وهذا لا يعني أن لويس لوميير كان يدرك معنى الوثائقي آنذاك بل أن طبيعة التجربة التكنولوجية للآلة السينماتوغراف هي ما فرضت هذا النمط من التصوير علما أن المعنى الحقيقي للوثائقي يحتاج منذ البداية

تخطيطا ودراية بالموضوع قبل عملية التصوير ولأن لوميير لما يكن آنذاك في تجاربه سوى تصوير مشاهد قصيرة جدا .

هكذا بدأت السينما منرحم الابتكارات التكنولوجية ومنح شرف ميلادها للأخوين لوميير من خلال آلة السينماتوغراف التي صورا وعرضا من خلالها العديد من الأفلام التي غلب عليها الطابع الوثائقي باستثناء بعضها التي نلتبس فيها جانبا من الفكاهة والتي يمكن اعتبارها بداية البحث عن بؤادر الفن رفقة التكنولوجيا في السينما مثل فيلم البستاني . والذي يتميز ربما عن كل أفلام لوميير الأخرى بميوله الى الفن نوعا ما كونه يصور مشهدا في غاية المرح والفكاهة وبين العفوية حينما والتمثيلات القصيرة حينما صور لوميير مشهدا لبستاني يمارس نشاطه في سقي الحديقة بينما شخص آخر يزعه بقطع الماء عن صنوبر المياه ليخلق بينهما مشهدا يتسم بنوع منالكوميديا والمطاردة الفكاهية . لقد كان الاخوين لوميير يحاولان في اعمالهما السينمائية اعطاء هذه الصناعة الجديد نوعا منالتميز في عامالصورة غير أن الدخول الى مجال الابداع الفني مانمحتسما لذلك تحولت السينما في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وتحديدا عام 1902 من مجرد صور متحركة تجسد الواقع كما هو الى عام من الفن والابداع عندما اصطدمت هذه الصناعة مع رائد الخيال في السينما المبدع والفنان المسرح والخدع البصرية جورج مليه

## 2. السينما من التوثيق المصور إلى السرد والخيال

### 1.2 جورج مليس وبداية الخيال في السينما :

يعد جورج مليس رائدا كبيرا من رواد السينما بفضل إبداعاته التي جعلته يكتب اسمه بأحرف من ذهب في تاريخ السينما العالمية وذلك نظرا لأهمية تجاربه السينمائية الناجحة التي أضافت على نجاحات لوميير في السينماتوغراف وإديسون في الكاينيتوسكوب نجاحا آخر في طبيعة الفيلم ومضمونه مما جعله يعتبر أول سينمائي يتبنى السرد والخيال الروائي في أفلامه .

لقد شهدت أوروبا وفرنسا على وجه الخصوص موجة متتالية الاختراعات والابتكارات و الإبداعات في مجال السينما منذ البواكير الأولى إلى كل من إديسون و لوميير لتتحو السينما منحي آخر نحو الحكي والسرد استنادا الى عبقرية جورج مليس الفنية والمسرحية ومهارته في الخدع البصرية لذلك يعتبر " الأب الفعلي لاختراع المؤثرات الخاصة السينمائية بجانب الفيلم السردى الروائي ، فقد كان ممثلا ومخرجا وساحرا وصاحب مسرح روبيرت هودين بباريس المتخصص فيما يمكن أن نسميه المسرح السحري عن طريق تحريك الأشخاص من شكل الى آخر ....لقد كان شخصا متعدد المواهب فهو الممثل والمصمم في العرض على المسرح .....ولقد تزامنت تجربة مليس مع الإخوة لوميير عندما شاهد نجاح تجربتهما وأراد اقتناء جهاز السينماتوغراف منهما

لاستعماله في ترقية نشاطه المسرحي والاستفادة من هذا الاختراع الجديد في أفلمة وتصوير مسرحياته وعرضها على الشاشة إلا أنهما لم يتوصلا إلى الاتفاق بذلك لذلك وجد ضالته في آلة الكاينتوسكوب لتوماس اديسون والتي بالرغم من كونها لم تأخذ مواصفات السينماتوغراف في مونتتها وسرعتها في التصوير والعرض إلا أن الكاينتوسكوب كان كفيلا بتصوير عروض مسرحية سحرية وعرضها على الشاشة فجعل من مسرحه أستوديو لتصوير مشاهد روائية سحرية بخدع بصرية " (سعيد، 2013).

لقد تحولت الصناعة السينمائية من قوقعة الاختراع التكنولوجي إلى وسيط فني متميز عندما امتزجت عبقرية الابتكار في تكنولوجيا الصورة سواء للوميير أو إديسون بعبقرية أبداع جورج مليس هذا الرجل الفنان المسرحي و الساحر المبدع في تحويلها الى خطاب فني يستعرض أحداثا خيالية ويسردها من عين الكاميرا ويعرضها على الشاشة .

لقد استطاع أن يستثمر في هذا الاختراع الجديد لتطوير عروضه المسرحية السحرية لذلك جعل مختلف عروضه وأعماله تتسم بطابع الفن و الإبداع خاصة لكونه أول من أدخل عنصر الخيال الروائي والسرد من عدسه الكاميرا عن طريق الصورة حيث كان يصور عروضاً مسرحية لأحداث وتمثيلات مسرحية متتالية مطعماً إياها بخدع بصرية على مستوى الديكور والمؤثرات البصرية" (مليس، 1902).

لقد طبق ذلك في أول فيلم يتسم بخاصية الحكى والسرد عن طريق الصورة وهو فيلم رحلة إلى القمر عام 1902 مستلهما فكرته من الروائي جول فيرن من روايته الشهيرة من الأرض إلى القمر .

**2.2 فيلم رحلة إلى القمر 1902 تحول في تيمات السينما من التوثيق المصور إلى عوالم الحكى والخيال :**  
وسط فضاء مفعم بالكاريكاتور والإبداع في تجسيد الديكور والخدع البصرية التي تجسد فضاء الأحداث وزمان وقوعها يأخذنا جورج مليس في رحلة إلى القمر وسط عام من الصور المتتالية التي وثقها عن طريق الصور المتحركة معتمدا على مهارته وخبرته في المسرح والخدع البصرية .

أخرج مليس عام 1902 فيلم بعنوان رحلة إلى القمر والذي تدور أحداثه حول رحلة مجموعة من العلماء إلى القمر مستلهما قصة فيلمه من رواية لجول فيرن تحمل العنوان نفسه تقريبا لقد صور مليس فيمه عبر مقاطع متعددة يستهلها باجتماع العلماء للتخطيط للسفر إلى القمر وهكذا تتطور الأحداث على ركح مسرح مليس وكن منعين الكاميرا السينمائية حيث استطاع هذا الأخير أن يجعل من المسرح فضاء وأستوديو للتصوير بينما جعل من كادر الصورة مجالا للرؤية والمشاهدة والاستمتاع وينتقل مليس بالمشاهد إلى مشاهد أخرى متتالية مثل تجهيز المركبة الفضائية وركوب المسافرين نحو القمر ومسار السفينة التي تقترب من القمر الذي صوره في شكل غاية في الكاريكاتور إلى أن تصدم السفينة عين القمر للتعبير عن الوصول ويكمل مليس سرد الأحداث

فوق سطح القمر في قالب من التشويق و الإثارة والفكاهة حيناً آخر إلى نهاية الفيلم "(مليس، رحلة إلى القمر، 1902).

يدرك المشاهد لفيلم رحلة إلى القمر لجورج ميليس قيمة وأهمية هذه التجربة لهذا الرائد السينمائي لقد استطاع أن يجعل من لغة الصورة وسيلة لتجسيد الخيال والسرد الروائي للأحداث لقد جعل عين الكاميرا تروي قصصاً غاية في الخيال والتشويق والإثارة لذلك تعتبر تجربة ميليس وخاصة من فيلمه الشهير رحلة إلى القمر منعرجاً مهماً في تطوير السينما ومرحلة وحلقة مهمة لا يمكن لدارس تاريخ السينما تجاوزها، وبكل بساطة إنها ميلاد الفن من رحم السينما في إبداعات ميليس .

لقد أضاف هذا الفنان سحره وإبداعه وعبقريته الفنية لابتكار إديسون والتي لم يكن إديسون نفسه ومن بعده لوميير يفكران بهذه الطريقة في تحويل السينما من مجرد اختراع تكنولوجي إلى سحر فني يمتزج فيه الخيال و الحكي و الإثارة والتشويق .

أن فيلم رحلة إلى القمر كان منطلق الإبداع الذي فتح شهية اطلاق العنان للسينمائيين نحو استغلال هذا الابتكار الجديد في التعبير عن الواقع بأشكال مختلفة من التوثيق والتسلية والتعليم... الخ

وعليه وبكل بساطة يمكن القول ان السينما ولدت من رحم التكنولوجيا التي كانت وراء وجودها في خلق عوالم للصورة المتحركة بعد عناء طويل وأفكار و ابتكارات العديد من المخترعين التي انتهت بالنجاح في تجربة إديسون واكتملت مع الإخوة لوميير بجهاز السينماتوغراف لكنها لم تر النور في اتسامها بالطابع الفني لا عندما انصهرت بين أفكار وإبداعات ميليس التي استخدمها في أفلمة عروضه المسرحية جمع فيها خبرته في المسرح والخدع البصرية والسحرية وبين حسه الفني والخيالي في تجسيد الأحداث واحبكها على الركب كأستوديو وتصويرها وعرضها على الشاشة .

## خاتمة:

- لقد شكلت السينما شيئاً سحرياً للعالم منذ ميلادها وتطورت بتطور العلم والتكنولوجيا التي كانت وراء ظهورها ولأزال هذا الفن يتأثر بالتطور الفكري مما جعله أكبر وسيلة تواصل جماهيري على الإطلاق.
- أن اعتماد السينما على الصورة منذ البداية يعتبر عاملاً يجعل هذا الفن أكثر تعبيراً ومحاكاة للحياة والواقع كونه يعبر ما تعجز عن باقي اللغات لذلك عنيت مختلف الاختراعات بعالم الصورة الذي تطور من ثابتة إلى صورة متحركة وهو ما لمسناه في تطور التجارب الأولى لميلاد السينما والتي شملت تطويل مجالات صناعة الصورة التي تحولت من ثابتة إلى متتاليات متحركة وهكذا إلى أفلام سينمائية تعالج الواقع وتسرد الخيال وتخلق التشويق والإثارة .

- إن تعدد التجارب وتوالها في تاريخ السينما يجعل المؤرخين لا ينسبون ميلادها لشخص بعينه أوجهة ما وإنما الملاحظ لتطور تلك التجارب الأولى يدرك أنها كملت بعضها غير أن اكتمال التجربة ونجاحها كان في اختراع لومبير للسينماتوغراف الذي جمع أفكار السابقين وحقق مبدأ المتتالية الثابتة إلى متحركة من خلال تصوير فيلم لحظة وصول القطار وخروج العمال من لمصنع والبستاني... وغيرهم .

- لم تكن أعمال مليس وغيره سوى مجرد مقاطع موثقة لحدث معين مثلما يقع فعلا وفي عين المكان ذلك نظرا لحدثة التجربة التي كان يختار المنظر والحدث الذي يساعد جهازه في تصوير متتالية ب 18 لقطة في الثانية في الشريط الفيلم الذي سيعرض عن طريق السينماتوغراف بشكل متحرك وهذا هو الهدف آنذاك .

- لم يكن للسينما أنتبقى متوقعة تحت غطاء التجربة التكنولوجية لذلك كان لابد منذ اقترانها بالإبداع والأدب والفن فوجدت ضالتها في عبقرية جورج مليس الذي جعل السينما أداة لتطوير إبداعاته وخدعه المسرحية والسحرية مستلهما خبرته ليصور من خلال جهاز إديسون فيلما خياليا روائيا بعنوان رحلة إلى القمر .

لقد كان فيلم رحلة إلى القمر لمليس قفزة نوعية ونقطة تحول مهمة في تاريخ السينما التي حولت هذه الصناعة من مجرد تجربة تكنولوجية إلى وسيط فني متميز بالسرد والإثارة والإبداع عن طريق أيقون الصورة الفيلمية .

### 3. الإحالات وقائمة المراجع:

1. جورج سادول. (1968). تاريخ السينما في العالم . بيروت، لبنان : منشورات عويدات .
2. جورج سادول. (1967). تاريخ السينما في العالم . بيروت: منشورات عويدات .
3. جورج مليس. (1902). رحلة إلى القمر . باريس . <https://www.youtube.com/watch?v=1dLYKhFlqb0>
4. جورج مليس. (1902). فيلم رحلة إلى القمر . باريس . <https://www.youtube.com/watch?v=1dLYKhFlqb0>
5. جيوفري نويل سميث. (2010). موسوعة تاريخ السينما في العالم . القاهرة : المركز القومي للترجمة .
6. جيوفري نويل سميث. (2010). موسوعة تاريخ السينما في العالم / السينما الصامتة . القاهرة : المركز القومي للترجمة .
7. ديفيد روبنسون. (1999). تاريخ السينما العالمية 1895/1980 . المجلس الأعلى للثقافة .
8. ديفيد روبنسون. (1999). تاريخ السينما العالمية 1895/1980 . المجلس الأعلى للثقافة .
9. شيمي سعيد. (2013). الصورة السينمائية من السينما الصامتة إلى الرقمية . القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة - شركة الأمل للطباعة والنشر .
10. لويس لومبير. (1895). فيلم لحظة وصول القطار إلى محطة لاسيوتا . باريس: لومبير . [https://www.youtube.com/results?search\\_query](https://www.youtube.com/results?search_query)
11. مصطفى الإدريسي. (2023). الخصائص الجمالية والأسلوبية للفيلم الوثائقي . مجلة المعرفة ، 875.